۱۳

کتاب شیعه

ویژه‌نامه تراجم | کتاب‌شناسی، نسخه‌پژوهی، نقد کتاب

۱۴

منتشر شد

فروش

قم، مؤسسه کتاب‌شناسی شیعه

خیابان توحید، توحید ۷، شمارهٔ ۲۲ | انتشارات کتاب‌شناسی شیعه

تلفن: ۰۲۵۳۸۸۰۲۲۱۲ ۰۲۵۳۸۸۰۲۲۳۲

السيرة الذاتيّة للسيّد عباس الموسوي المهري (ح ١٣٢٧-١٣٨٠)

سال هفتم شماره اول و دوم بهار تا زمستان ١٣٩٥

إعداد: السيد ابوالحسن العلوي

المقدمة:

تشتمل هذه السيرة الذاتية للسيّد عباس الموسوي المهري على فوائد ثمينة عن أسرته وسائر الأُسر العلوية القاطنة في جنوب شيراز، وعن الوضع الدراسي في النجف الأشرف.

وقد نشرها المؤلّف في آخر كتابه (الإقاضات في حكم مشكوك التذكية من الحيوانات، الذي راجعه وقدم له الشيخ محمد مهدي الآصفي، ونشر من مطبعة الآداب في النجف الأشرف، سنة ١٣٨٠هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

ترجمة المؤلّف

مولده، نسبه، حياته، نشأته الفكريّة في النجف:

وضع الدراسة في جامعة النجف: شاع بين كثيرٍ من الأعلام كالعلّامة الحلّي والسيّد محسن الأمين وغيرهما (تغمّدهم الله برحمته الواسعة) أن يرفقوا كتبهم بشيء من حالاتهم، فأحببت أن أقتدي بهم، لعل الله أن يجعلني منهم، فأرفقتُ الكتاب بهذه الجملة من أحوالي وحياتي على الترتيب الذي تعارف عليه العلماء في وضع سِيَرهم وأحوالهم.

مولد المؤلّف

ولدت في القرية المعروفة بـ«مُهر» في جنوب إيران، على مقربةٍ من الخليج الفارسي، وتأريخ ولادتي لا يزال موجوداً عند والدي المعظّم (دام ظلّه) ولست أتحظره الآن. إلّا أنّ جملةً من القرائن تدلّ على أنّها كانت في حدود من (١٣٢٧-١٣٢٨) من الهجرة النبويّة على مهاجرها آلاف الصلاة والسلام.

وقد بلغت من العمر في الوقت الحاضر لدى كتابة هذه السطور، وهو الخامس والعشرين من جمادى الثانية ما يقرب من خمسة وخمسين أوستّة وخمسين سنة، وقد وهن العظم منّي، واشتعل الرأس شيباً، وقاربني الأجل ولمّا.

ولكنّني - بحمد الله - لا زلت أحفظ همّة الشباب في البحث والتحقيق والكتابة والتأليف ولازلت مكبّاً بشوقٍ واهتمام على أبحاثي وكتاباتي من غير مللٍ ولا ضجر.

قرية مهر[1]

وهي قرية في جنوب إيران قريبة من الخليج الفارسي. تبتعد عن ميناء سيراف، المعروف بـ: «بندر طاهري» حوالي عشرة فراسخ.

وقد ذكر المحدّث القمّي في الكنى والألقاب في ترجمة السيرافي النحوي: «أنّ السيراف - بكسر السين المهملة وسكون الياء - من بلاد فارس[2] على ساحل البحر ممّا يلي أرض كرمان». والظاهر على ما سمعنا أنّ السيراف هو «بندر طاهري» المعروف في هذا الزمان.

وتبتعد كذلك عن بندر (عسلو) بما يقرب من ثمانية فراسخ، والطريق بينهما طريقٌ جبليٌّ صعب العبور.

وتجري في القرية عيون فيّاضة من سفوح الجبال، وقُللها تروي البساتين والحقول إلى تحف بالقرية.

وتكثر في القرية زراعة النخيل والرمّان والكَرْم بصورة خاصة.

وتحف القرية طائفةٌ من الرياض النضرة والبساتين البهجة والحقول الجميلة والجبال الشامخة، ممّا يشرح الفؤاد، ويبهج الخاطر، ويروح عن النفس، ويدعو إلى الايمان بالمبدع الحكيم، جلّت حكمته وقدرته.

وَ فِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلى أنَّهُ وَاحِدُ

وتشتدّ حرارة الهواء فيها في الصيف، وتلطف في الربيع والزراعة فيها ديميّة بالأمطار.

وأهلها غالباً من السادة الأشراف النازلين من قرية توبثير من أعمال أحساء سابقاً. وقد نزل إليها قريباً في العصور المتأخّرة جماعة من العلماء من أنجال السيّد هاشم البحراني التوبلي ﵀ صاحب كتاب البرهان في تفسير القرآن، وغيره من الكتب.

وقد كنّا نسمع أنّهم كانوا يجتمعون كلّ يومٍ صباحاً وعصراً في المجالس، ويقرؤن كتاب ناسخ التواريخ ومعراج السعادة، وما شابههما من كتب، وهم في الغالب متحلون، بفضائل الأخلاق متحلّون، فيما بينهم رحماء، أشدّاء على الأعداء.

ولهم في الغالب معرفة بشؤون التاريخ والوعظ والمسائل الفقهيّة، ويكثر بينهم الخطباء الذين ينتشرون في القرى المجاورة للوعظ والإرشاد.

ويشتهرون بالاهتمام في إقامة الشعائر الدينيّة ومجالس التعزية والوعظ الديني، فتكثر عندهم الحسينيّات لإقامة المجالس في شهور محرّم وصفر ورمضان وأيّام الوَفَيَات والمواليد.

وقد سافر جماعةٌ منهم إلى خارج القرية، لتحصيل المعارف الدينيّة وللقيام بواجب التبليغ.

منهم: سماحة الحجّة الوالد الحاجّ السيّد محمّد المهري، نزيل المحمّرة (خرمشهر) سلّمه الله تعالى، فقد طلب منه جماعةٌ من أعيان البلدة بعد رجوعه من النجف الأشرف أن يقيم هناك رحله، ويقوم بمهمّة العالم الديني من إقامة الفرائض وحلّ مشاكل الناس والوعظ والإرشاد وما إلى ذلك. وهو يعرف بالجود والكرم وبيته مأوى للضيوف ولا يخلو بيته عن الضيف في حال. وهو (دام فضله) معروفٌ بالفضل والزهد، وله مكانةٌ في النفوس، وهو أهل لذلك، وله سعة اطّلاع في

١. وهي اليوم مدينة مستقلّة في محافظة فارس قريبة في مدينة لامرد والتي هي أيضاً من مدن فارس.

٢. وهي اليوم من أعمال محافظة هرمزگان التي تكون عاصمتها مدينة «بندرعباس».

أبواب الحديث، ودقّة نظر في كتاب الله، ونظرة ثاقبة فيما يعرض عليه من الأُمور وفهم وفهم.

وله مكانةٌ محترمة في العراق وإيران عند ذوي الفضل، ولا غرو فلا يعرف ذوي الفضل، إلّا ذووه وهو كثير الشفقة عليّ، وما بلغت ما بلغت من التوفيق إلّا ببركات دعواته المباركة، أطال الله بقاه وسلّمه، ووفّقني لتحصيل مرضاته.

ومن هؤلاء جماعة يسكنون النجف الأشرف لتحصيل المعارف الإسلاميّة عند مرقد الإمام أمير المؤمنين، عليه أفضل السلام. وفّقهم الله وسدّدهم، وأخذ بعضدهم، إنّه قريبٌ مجيب.

والجماعات التي تسكن القرية فعلاً على قبيلين: سادةٌ هاشميّين وغيرهاشميّين، وهم المعروفين بـ: «العجم».

أمّا الهاشميّون فهم على طوائف معروفة خمسة:

١. طائفة الكلانتر: وينتهون إلى آل عباد، في قرية تويثير.

٢. طائفة السلطان.

٣. طائفة خان.

٤. آل ديهيم: واليهم ينتسب الحاج السيّد هاشم.

٥. البحارنة: المنتمون إلى العلّامة السيّد هاشم البحراني التوبلي، الذين نزحوا إلى البحرين في الأزمنة المتأخّرة.

سال ششم شماره اول و دوم بهار تابستان ۱۳۹۵

نسب المؤلّف وعشيرته

عبّاس بن محمّد بن عبّاس الموسويّ المهريّ مولداً، والنجفي مسكناً.

وينتهي نسبنا إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، كما هو معروفٌ مشهور.

وكان أجدادنا من سادة قرية تويثير من قرى الأحساء المعروفين بـ: «آل عباد» هاجروا في سنة (١٢١٦) الهجريّة التي ثار فيها الوهابيّون وهاجموا كربلاء... إلى إيران لما أصابهم من ألوان الظلم والعداء من الوهابيّين.

ونقل لي الشيخ حسين آل الخليفة في النجف الأشرف، وهو من فضلاء الأحسائيّين: أنّ أجدادنا هاجروا من الأحساء إلى إيران زمن السلطان الشاه عبّاس الصفوي. فشكوا إليه ما أصابهم من الوهابيّين [من] الظلم والعدوان. فلم يصغ إليهم. فلمّا قاموا من عنده مغضبين شهد الملك أنّ نعالهم تحوّل إليهم من غير أن يمسّه أحد، فتعجّب من ذلك، وأعادهم إلى مجلسه، وأصغى إليهم باهتمام وانتباه، فطلبوا منه مكاناً ينزلون فيه، فقطع لهم القرية المعروفة الآن بـ: «مهر» بضمّ الميم وسكون الهاء، وهي لفظةٌ فارسيّة معناه الإمضاء أو السند.

وسمّي المكان بهذا الاسم؛ لأنّ السلطان كتب لهم بها حجّة، ووشّحها بتوقيعه، وأمر فيها أن لا يؤخذ منهم شيء من الضرائب والماليّات، ودفعها إليهم.

وقد نقل لي جماعةٌ من طلّاب العلم من بني الأعمام أنّ الحجّة لا تزال موجودة في أيدي السادة المتوطّنين في القرية.

وسمعت مثل ذلك عن السيّد عبدالله شيخ سادة قرية تويثير في الكويت وفي الاحساء.

ولكنّي رأيت في كتاب فارسنامه ناصري ما ترجمته:

من أعيان نواحي كله دار السلسلة الجليلة الحسينيّة، وقد هاجر جدّهم الأعلى من المدينة المنوّرة إلى إيران أيّام الشاه عبّاس الصفوي، فحضر مجلس الملك، فوهبه قرية مهر، فتوطّنها هو وأولاده بعد ذلك.

والقصّة بهذا الشكل غير معروفة في القرية والمشهور هو الصورة السابقة فقط.

ويشهد له ما أفاده الفاضل الأديب الشيخ حسين القديحي القطيفي ابن الشيخ علي [ابن] الشيخ حسن البلادي

البحراني صاحب كتاب أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين. الكتاب من مؤلّفات والده المتوفّى سنة ١٣٤٠هـ. قال في ترجمة علماء القطيف والأحساء:

الكامل الذكي، الأسعد السيّد عبد علي بن المرحوم السيّد أحمد التويثيري الأحسائي.

وهذا السيّد من السادة الأجلّاء الموسويّين، نسبهم الشريف ينتهي إلى السيّد إبراهيم المجاب المدفون بكربلاء المعلّى. ولهم نبوغٌ في قرية مهر من قرى فارس وفي القديح، قرية من القطيف، وهم معروفون بالخضاروة. وفي العراق معروفون ببيت أبو طبيخ. وعميدهم الآن السيّد الجليل المؤتمن السيّد حسن، والسيّد عبد علي المذكور من طلبة العلم، وهو ذكي كامل ذو ذهن وقّاد.[٣]

ويظهر منه أنّ انتساب سادة (مُهر) إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مشهوربين أهل الأحساء والقطيف، وأنّ أجدادنا من قرية تويثير انتقلوا إلى بلاد فارس، وسكنوا هذه القرية، وأنّ بيت أبو طبيخ المعروفين في العراق يعدّون من أفخاذ البيت، وأنّ السادة الخضاروة في القديح، من قرى قطيف، والسادة المتوطّنين في قرية تويثير كالسيّد عبد المحسن والسيّد أحمد والسيّد عبدالله والسيّد عبد علي كلّهم من بيتٍ واحد.

وَ كُنّا بِاجْتِمَاعٍ كَالثُّرَيّا
فَصَيَّرَنَا الزَّمَانُ بَنَاتَ نَعْشِ

وسمعتُ من بعض بني الأعمام أنّ نسبنا ينتهي إلى علم الهدى السيّد المرتضى، ثمّ إلى السيّد إبراهيم المجاب.

وجملة القول: إنّ انتساب سادة مهر إلى سادة تويثير بيّنٌ لا مجال للريب فيه، وقد سافر نفرٌ من سادة تويثير إلى مهر لزيارة أرحامهم هناك، وقرية مهر معروفة عند الأحسائيّين. وقد ثبت بالتواتر أنّ سادة مهر من السادة الموسويّين [المهاجرين] إلى قرية تويثير في الأحساء.

وما ذكر في كتاب فارسنامه ناصري الذي كتبه صاحبه للملك ناصر الدين شاه من سلاطين قاجار سنة (١٣١٣) غير معروف عندنا في مهر ولا عند أهل قرية تويثير. وقد سألت كثيراً من أهالي القريتين تويثير ومهر، فرأيتهم متّفقين على انتساب سادات مهر إلى سادات تويثير.

وانتسابهم إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مشهورٌ معروف، ولا شبهة فيه عندنا، وقد كنت أسمع به منذ عهد الطفولة في مهر.

وحكى لي ابن خالتي المرحوم الحاجّ السيّد محمّد بن المرحوم السيّد علي [ابن] السيّد هاشم - وهو من أشراف سادة مهر في النجف - : أنّه كان قد سمع عن مهر انتسابهم إلى سادة تويثير في الأحساء، فلمّا قصد بيت الله الحرام سنة ١٣٥١ الهجريّة سافر من طريق الأحساء، ونزل قرية تويثير بيت السيّد عبد المحسن، وقد كان في ذلك الوقت شيخ سادة القرية، فأكرم السيّد مقامه، وتناسبا فعرفه السيّد، واعترف بأنّ سادة مهر ينتسبون إلى سادة تويثير.

قال: وعرفني هناك بعض سادة تويثير الذين كانوا قد سافروا إلى مهر لزيارة أرحامهم هناك ونزلوا بيت السيّد علي كلانتر، فقالوا لي إنّك ابن أخت السيّد علي كلانتر، ممّا يدلّ على أنّهم كانوا قد سافروا إلى قرية مهر حينما كنت صغيراً، أتردّد على بيت خالي السيّد علي كلانتر.

وسألت السيّد عبد الله التويثيري شفاهاً عن الشجرة، فقال: هي موجودة عند السيّد عبد المحسن أبو طبيخ في العراق، واشتهار نسبنا يغنينا عن مطالبتها. واعترف لي أنّ سادة مهر ينتسبون إليهم بغير ريب، وكذلك أخبرني كلّ من سألته عن ذلك ممّن له صلة بالموضوع.

٣. أنوار البدرين، ص٤١٧.

وسمعت من المرحوم الحاجّ السيّد محمّد السابق الذكر أنّ السادة المعروفين بـ«كلانتر» في مهر من السادة المعروفين بـ«آل عباد» في قرية تويثير، وزعيمهم الأوحد في الحال الحاضر هو الحجّة الوالد، وستأتي ترجمته مختصراً.

والسادة المعروفين بـ«السلطان» في مهر ينتسبون إلى «آل حاج» في تويثير، وشيخهم في الوقت الحاضر هو السيّد أحمد سلطان، ومرجعهم في حلّ الأُمور والمشكلات هو السيّد محمّد بن السيّد أبوالحسن.

وطائفة خان يرجعون إلى آل حسن في تويثير، وزعيمهم في الوقت الحاضر هو السيّد الجليل الحاجّ السيّد إبراهيم بن المرحوم السيّد علي خان.

وطائفة فيها يسمّى بـ«آل ديهم»، ويُقال: إنّ المرحوم الحاجّ السيّد هاشم منهم، وزعيمهم في الوقت الحاضر الحاجّ السيّد هاشم بن المرحوم السيّد حسن [ابن] السيّد هاشم.

والقائم بشؤون قرية مهر الداخليّة وحلّ قضاياها في الوقت الحاضر هما السيّدان السندان المؤتمنان الحاجّ السيّد إبراهيم السّجادي والحاجّ السيّد هاشم (أدام الله توفيقهما). والحكومة الإيرانيّة لم تتدخل لحدّ الآن في شؤون القرية، وإنّما هي موكولة إلى كبار القرية ومشايخها.

وسمعت من الشيخ حسين المتقدّم أنّ الطوائف المذكورة موجودون فعلاً، ومعروفون بها.

وجملة الكلام: إنّ اشتهارهم بالسيادة شائعٌ مشهورٌ في مهر، وفي تويثير، ونواحيهما بما يدفع كلّ ريبٍ وشكّ.

حياة المؤلّف ونشأته الفكريّة

وإذ بلغ بي العمر السبع حوالي سنة ١٣٣٤ و١٣٣٥ أخذتني الوالدة إلى الشيخ المعلّم مع أولاد خالتي، ولم يكن والدي حاضراً في القرية حينئذٍ. فجزعت من ذلك كثيراً، فقد كانت أساليب التأديب المتّبعة تلك الأيّام في المكاتب أساليب قاسية مفرطة في القسوة.

وضع التعليم سابقاً

فقد كان الشيخ أو المعلّم يستعمل الفلقة للتأديب، وهي خشبة بطول نصف متر مثقوبة الطرفين، فيها حبل دقيق يوضع فيها الساقان وتوثق به. فإذا قام أحد الأطفال بمخالفة من المخالفات الكبيرة، كالهرب من المعلّم مثلاً، أو ما يشبه ذلك أمر المعلّم بقيّة الأطفال أن يجروه إليه ويلقوه على ظهره ويرفعوا رجليه ... فإذا امتثلوا ذلك رفع الفلقة ووضع رجلي الطفل بين الحبل والخشبة، وأخذ يفتل الخشبة حتّى يشدّه بالحبل، فيأمر اثنين من الطلّاب الأقوياء أن يمسكا جانبي الخشبة، ويهوي هو على رجليه ضرباً بالعصا، حتّى يكتفي من الضرب، ولا تفيده توسّلات الطفل المسكين وأنينه، ولا استغفاره وتوبته فإذا اكتفى من عمله أمر بفكّ الخشبة عن رجليه، فيأخذ الطفل جانباً وقد أخذ منه الألم مأخذه، وأشدّ من ذلك وأنكى عليه تغامز الاطفال به وتهكّمهم عليه، وذلك لعمرو الحقّ آلم وأقسى على قلبه الكسير. ويظهر من بعض المؤرّخين أنّ هذه الطريقة في التعليم كانت طريقة شائعة قديماً بين المعلّمين، حتّى مع أولاد الملوك والخلفاء.

فقد رووا أنّ المأمون أبطأ عن المعلّم، فلمّا حضر ضربه المعلّم فبكى، فبينما هو يبكي إذ قيل: جاء الوزير البرمكي. فمسح المأمون دموعه، وسوى عليه ثيابه، وجلس كما ينبغي لابن الخليفة أن يجلس مع الوزير، ثمّ قال: ليدخل، فدخل وحادثه ساعة، ثم انصرف.

ونظر المأمون إلى المعلّم وقد تغيّر، فسأله عن سبب تغيّره، فقال: خفت أن تخبره بما جرى، فينالني بسوء. فقال: سامحك الله! عن هذا خذ في وذدك ولا تفكّر في شيءٍ ممّا جرى. وكيف

يمكن أن أخبره وبعد أنا محتاج إلى التأديب.
وهذا إنّما يدلّ على رجاحة عقل المأمون وذكائه.
وضرب يوماً معلّم بعض أولاد الأُمراء على غير ذنب عمله، فسأل عن ذلك. فقال: أردت أن يعرف مرارة الظلم، فلا يظلم أحداً.

وكان المعتصم ابن الرشيد شبه أُميّ، يقرأ ولا يكتب، لأنّه كان له عبدٌ صغير يتعلّم معه في الكتّاب، فمات العبد. فقال له الرشيد: مات غلامك. قال: نعم، واستراح من الكتّاب.

فقال له: بلغ بك الحال من كراهة الكتّاب، أن تغبط غلامك على الموت، لأنّه استراح من الكتّاب وأعفاه من الذهاب إلى المعلّم، فخرج يقرأ ولا يكتب.

وكان الخلفاء والملوك يعتنون بتعليم أبنائهم، والأبناء يعظّمون مشايخهم فقد كان الأمين والمأمون يتعلّمان النحو والأدب عند الكسائي، وكان للرشيد عين عليه، فقام الكسائي يوماً ليخرج، فتسابقا إلى تقديم نعليه، فأصلح بينهما أن تقدّم كلّ واحد فرداً. فأخبر العين الرشيد بذلك.

فأرسل الرشيد إلى الكسائي، وقال له: من أعزّ الناس؟ قال: أمير المؤمنين. قال: لا، بل أعزّ الناس من يتسابق أولاد أمير المؤمنين إلى تقديم نعليه. فاعتذر إليه الكسائي. فقال له الرشيد: هذا يدلّ على حسن تأديبك إيّاهما.

وهذا يدلّنا على أنّ شرف العلم أعظم من شرف السلطان.
ومهما قلنا بقساوة التعليم في تلك الأعصار ولينها اليوم لا نستطيع أن نقول: إنّ نتائج التعليم الأخلاقيّة والدينيّة تعادل نتائجه في تلك الأعصار.

أُسلوب التعليم الابتدائي سابقاً

كان الأُسلوب الشائع في التعليم الابتدائي أن يبدأ الطفل بقراءة الحروف الهجائيّة حتّى يحفظها ويميّز بينها، ثمّ يأخذ في تعلّم المنقوط منها وغير المنقوط بالأُسلوب التالي.

(أ) لا شيء عليه (ب) تحتها نقطة (ت) عليها نقطتان (ث) عليها ثلاث نقط ... وهكذا.

وبعد ذلك يأخذ في تعلم الحركات على كلّ حرفٍ حرف، فإذا تمّ له ذلك ابتدأ بقراءة الحمد ومن بعده يأخذ بتعلّم سائر سور القرآن وقراءته على نحو التقطيع (التيجان).

ومن بعده يأخذ في دراسة بعض كتب الإنشاء والإملاء، وتعلّم شيء من القواعد الرياضيّة الأوليّة كالأعمال الأربعة.

عودٌ إلى بدء

فقضيت تسعة أشهر في الكتّاب، ختمت خلالها القرآن الكريم، وتعلّمت الكتابة، فكنت أكتب بقلمٍ من القصب على لوحٍ من الخشب بمداد من الجصّ. وبما أنّ والدي كان حينئذٍ في النجف مشتغلا بتحصيل العلوم الدينيّة، فقد كانت الوالدة والأخوال السيّد علي والسيّد محمّد كلانتر، وأولاد خالتي الحاجّ السيّد محمّد والسيّد مصطفى يهتمّون بتعليمي ويعتنون بشأني، رحمهم الله أجمعين، وجزاهم بما أسدوا إليّ من خيرٍ خيراً.

هجرة المؤلّف إلى المحمّرة:

ولمّا ختمت القرآن الكريم، وتعلّمت القراءة والكتابة الفارسيّة، والكتابة توفّت والدتي (رحمها الله)، سنة ١٣٣٩، فبقيت عند أولاد خالتي، وكنت أخاطبهم بالإخوة حتّى سنة ١٣٣٩ حيث أخذني بني الأعمام إلى خرّمشهر (المحمّرة) عند والدي، وذلك في الرجب من هذه السنة، فأمرني والدي بقراءة القرآن وبعض الكتب الفارسيّة، وإذا احسّ في القابليّة الفكريّة أمرني بقراءة الأمثلة وشرحها وحفظهما عن ظهر قلب، وهو كتابٌ ابتدائيٌّ في صِيغ الأفعال.

وبعد ذلك أمرني (دام ظلّه) بقراءة جامع المقدمات، وهو سلسلة من الكتب الابتدائيّة في النحو والصرف والمنطق، وكذلك بقيت أُمارس الدراسات الابتدائيّة في النحو والصرف والمنطق، حتّى سنة ۱۳۴۳.

هجرة المؤلّف إلى النجف الأشـــــــرف:

وفي هذه السنة تبرّع لي بعضهم [من] الأخيار، وهو المرحوم الحاجّ غلام أعلام مردشتي (رحمه الله) براتبٍ شهريّ لأبقى في النجف الأشرف للدراسة فتشرّفت في شهر ذي العقدة من هذه السنة مع والدي إلى العتبات المقدّسة، فزرنا كربلا يوم العرفة، وبعده ذهبنا إلى النجف الأشرف حيث حللنا على بيت بعض الأعلام ضيفاً، وكان النجف يوم ذاك حافلاً بالعلماء والفضلاء والطلّاب والمدارس والدراسات العالية، وكانت المدارس ممتلئة بالطلّاب، فلم أجد غرفة خالية في إحدى المدارس، فطلب الوالد من مضيفنا أن يؤويني في غرفة ابنه في مدرسة القوام، ففعل.

وبقيت هناك أشتغل بطلب العلم، وغادر الوالد (أطال الله بقاه) النجف إلى خرّمشهر بعد الفراغ من زيارة الغدير، وانتقلت بعد ذلك إلى مدرسة البادكوبة.

وتشرّف الوالد الأعظم سنة ۱۳۴۵ إلى النجف الأشرف، وأمرني بالانتقال إلى مدرسة الخراساني الوسطى فانتقلت إليها وبعد زيارة العتبات المقدّسة آب (سلّمه الله) إلى إيران.

ثمّ إنّي من حين قدومي إلى النجف ابتدأت بكتاب المطوّل في البلاغة وحاشية الملّا عبدالله على التهذيب في المنطق، واستغنيت عن قراءة جامع المقدّمات والبهجة المرضيّة (السيوطي)، لقرائتي لهما في المحرّة عند بعض الأفاضل.

علماء النجف في ذلك الوقت ومركزها الاجتماعي:

كان النجف يوم ذاك مركزاً علمياً كبيراً يطمحُ إليه روّاد العلم من شرق العالم الإسلامي إلى غربها، فكان يؤمّها للتزوّد منها الإيراني والهندي والأفغاني والباكستاني واللبناني والسوري والسعودي والبحريني والكويتي والأحسائي والتركي والأفريقي، وكانت الزعامة الدينيّة للطائفة راجعة إليها.

وكانت حافلة بفحول العلماء وكبار المفكّرين ومراجع التقليد، وإليك أسماء بعض رجالات النجف في ذلك الوقت:

كانت المرجعيّة في التقليد والتقوى تحوم حول الميرزا محمد حسين النائيني الغروي، والسيّد أبوالحسن الإصفهاني، والشيخ المحقّق الشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والسيّد محمّد الفيروزآبادي، والشيخ محمّد [حسين] الإصفهاني، والشيخ عبدالله المامقاني صاحب تنقيح المقال، والشيخ الزاهد الشيخ مشكور، والسيّد عبد الغفّار المازندراني.

وهولاء كلّهم قد لبّى داعي الله ولحق بالرفيق الأعلى (جلّ وعلى) ولكن مدينة باب علم مدينة الرسول لا تزال حافلة بالعلماء الأعلام، والطائفة لا تزال لها رجالاتها الكبار، وأبطالها المجاهدون، وعلى رأسهم زعيم الطائفة الأوحد وفقيهها الأكبر الحاجّ السيّد حسين الطباطبائي البروجردي (مدّ الله تعالى في ظلاله الوارفة)، فهو اليوم يتزعّم الطائفة، ويسكن مدينة قم المحميّة، وله همّةٌ عالية في تشييد المدارس والمساجد والمؤسّسات الإسلاميّة، وبثّ الدعاة والمبلّغين.

أُسلوب التدريس في النجـــــــــف:

للجامعة النجفيّة أسلوبها الخاصّ وطريقتها المخصوصة في الدراسة، فهي بشكلٍ عام على نحوين:

۱. **الدراسات السطحيّة**: وفيها يجتمع الطلّاب والأُستاذ على كتابٍ مخصوص يدرسونه، فيقرأ الشيخ جملاً من الكتاب، فيشرحها ويمضي عنها، وقلّما يعترض الأُستاد فيها لذكر آراءه الخاصّة.

والدراسة السطحيّة في النجف تتناول النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه والأُصول والفلسفة والكلام والحديث والتفسير وفي بعض الأحوال الهيأة والنجوم والعروض والقافية.

٢. الدراسات الخارجيّة: وتشمل على الفقه والأُصول وهي الدراسة العالية في النجف، ولا يتقيّد فيها الأُستاد بكتابٍ خاصّ، وإنّما يقوم بإلقاء محاضرات في مادّة دراسته، فيذكر صورة المسألة، وآراء العلماء فيها، ثمّ يختار رأياً منها أو يعطي رأياً فيها، ويفنّد الآراء الأُخرى. ويعطي المجال واسعاً للطلّاب في مناقشته، فيناقشُهُ الطلّاب، فيجيبُهم ويردّون عليه، ويردّ عليهم، وهكذا حتّى ينتهوا إلى الحلّ الأخير.

وهي دراسة عالية لا يتصدّى لها غير الفحول من العلماء ذوي المكانات العلميّة الرفيعة. ففي هذا التاريخ كان الشيخ النائيني والسيّد أبو الحسن الإصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي هم المتصدّون في الغالب لهذه الدراسة.

وكانت هذه الحلقات تقام غالباً في الجامع الهندي وجامع الطوسي وجامع الشيخ الأنصاري ﷺ.

أمّا دراسة السطح فكان يقوم به جمع العلماء والفضلاء، منهم: المرحوم السيّد علي النوري والميرزا أبو الحسن والشيخ حبيب والميرزا فتّاح التبريزي والميرزا محمود الشيرازي... وغيرهم، تغمّدهم الله برحمته جميعاً.

منهج الدراسة في النجـــــــــف:

تنتظم الدراسة في النجف على منهج علميٍ طيّب. ففي دراسة السطح يبتدأ الطالب بدراسة النحو والصرف في الكتب التالية: جامع المقدمات، البهجة المرضيّة للسيوطي، والجامي، وشرح الألفيّة لابن مالك ومغني اللبيب. وقد يتوسّع أكثر من ذلك فيقرأ شرح الرّضي.

وبعده يشرع في المنطق والبلاغة، وفي المنطق يقرأ حاشية الملّا عبدالله اليزدي على تهذيب التفتازاني وشرح الشمسية، وفي البلاغة يقرأ المطوّل أو المختصر.

وبعده يفرغ لدراسة الفقه والأُصول، ويبتدأ في الأُصول بدراسة المعالم، والقوانين، والفصول، والفرائد، والكفاية، وفي الفقه يقرأ الشرائع واللمعة والمكاسب.

ثمّ يحضر أبحاث الخارج في الفقه والأُصول، وهناك يتمرّن على الاستنباط والاجتهاد، ويتوسّع في الفقه والأُصول.

نظام العطلة في النجـــــــــف:

تعطّل الدراسة في النجف أيّام الخميس والجمعة، وشهر رمضان، وغالب أيّام شهور محرّم وصفر لإقامة التعازي وشهور رجب وشعبان لزيارة الحسين ﷺ. ولا تتعطّل الدراسة في النجف في شهور الصيف. ويعتاد الطلّاب على الاشتغال بالدراسات الأُخرى أيّام العطلة عليه اسم: «الدراسة التعطيليّة».

مشايخ المؤلّف في دراسة الخـــــــــارج:

وبعد أن انتهيت عن دراسة السطح شرعتُ في حضور أبحاث الخارج. فحضرت بحث الشيخ المحقّق آية الله العظمى الشيخ ضياء الدين العراقي في الأُصول؛ لاشتهاره بالفضيلة وحسن البيان في ذلك الأيّام، وكان يحضر بحثه جماعة من العلماء والفضلاء.

وحضرت في الفقه بحث الشيخ المحقّق آية الله العظمى الشيخ ميرزا محمّد حسين النائيني، في قسم المكاسب من الفقه، حوالي أربع سنوات حتّى أجاب داعي الله سنة ١٣٥٥، فتغمّده الله برحمته الواسعة، وجزاه عن مساعيه خير جزاء.

وفي سنة ١٣٥٠ غادرت النجف إلى المحمّرة بأمرٍ من السيّد الوالد (حفظه الله) لمهمّة التزويج، وبعد الانقضاء رجعتُ إلى النجف في تلك السنة مُفضّلاً جوار مولاي أمير المؤمنين

على أي مكانٍ آخر.

وعند رجوعي حضرت بحث المحقّق آية الله الشيخ موسى الخوانساري لتقرير أبحاث شيخه آية الله النائيني، وكان ﷺ من خيرة تلاميذه وبصيراً بآرائه.

وفي هذا التاريخ تركَ شيخنا النائيني بحث الأُصول لكبر سنّه وضعفه، واكتفى بدراسة الفقه، كلّما اقتضت حالته الصحّيّة ذلك. وكان من عادته ﷺ أن يدعو قبل الدرس، ويبكي بعض الأحيان، وهو على المنبر، ثمّ يشرع في الدرس بصوت جهوريّ يستلذّ منه السمع.

وتركت بحث أُصول شيخنا المحقّق العراقي لدقّته وعمقه وصعوبته على المبتدئ كما يظهر من تقريرات تلامذته ﷺ بخلاف بحث شيخنا المحقق النائيني. وبعد وفاة شيخنا النائيني حضرت بحث مصباح الفقيه عنده إلى أن توفّي رضوان الله عليه.

وبعد ذلك حضرت فقهاً وأُصولاً بحث سيّدنا الأُستاذ المحقّق آية الله السيّد محمود الشاهرودي، وهو من تلامذة شيخنا المحقّق النائيني.

فقد خلف شيخنا النائيني من تلامذته من يقوم في العصر الحاضر بأعباء الفتيا والدراسة، كسيّدنا الأُستاذ السيّد أبوالقاسم الخوئي، وآية الله الميرزا محمّد باقر الزنجاني، والمحقّق المدقّق الشيخ حسين الحلّي وغيرهم من الأساطين. فهم زعماء الحوزة وقادتها، حفظهم الله ومدّ في ظلالهم.

سفر المؤلّف إلى الكويت:

وفي سنة ١٣٥٦ حضر بعض السادة من الأرحام الساكنين في الكويت النجف الأشرف للتشرّف بزيارة أمير المؤمنين ﷺ فدعوني إلى الكويت، وهي قسمٌ من سواحل الخليج الفارسي، كما يذكر المسعودي في مروج الذهب، فاستجبت لهم، وغادرت النجف إليها في أوّل يومٍ من شهر رمضان من نفس السنة، فرأيتها مكاناً آمناً يأتي رزقها رغداً من كلّ مكان، ووجدت فيها للشيعة حسينيّات ومساجد عامرة بإقامة الفرائض والأذان، ومجالس الوعظ والإرشاد والتعزية.

فبقيت فيها أيّاماً أعلّمهم معالم دينهم، وأعرّفهم بمحاسن الأخلاق وآداب العترة الطاهرة، فطلبوا مني أن أبقى عندهم شهوراً من كلّ سنة وألحّوا في ذلك، فأجبتهم إلى ذلك.

ولا أزال عند وعدي لهم أسافر إليهم كلّ سنة مرّة، وأقوم عندهم ثلاثة أشهر وأكثر، لهذه المهمّة الدينيّة، والله تعالى من وراء القصد، وأسأل الله أن يأخذ بأيدينا ويتقبّل أعمالنا، إنّه مجيبٌ قريبٌ إلى دعوة الداع.[٢]

٢. الإفاضات في حكم مشكوك التذكية من الحيوانات، الحاجّ السيّد عبّاس الموسوي المُهري، راجَعَهُ وقدّم عَلَيه: الشيخ محمّد مَهدي الآصفي، الطبعة الأُولى، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٠ق.